الصَّبْر على موت الأولاد

جاء عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال :

« إذا مات ولد العبد قال الله تعالىٰ لملائكته : قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون : نعم ، فيقول : فماذا قال عبدي؟ فيقولون : حمدك واسترجع ، فيقول الله تعالىٰ : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنَّة وسمُّوه بيت الحمد »[1] .

وعن عتبة بن عبد عن رسول الله ﷺ :

« ما مِنْ مسلمٍ يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحِنْث إلا تلقَّوه من أبواب الجنَّة الثمانية من أيِّها شاء دخل »[2] .

وعن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال : « ما منكنّ امرأة

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه أحمد وابن ماجه .

تُقَدِّم بين يديها ثلاثةً من ولدها إلاّ كانوا لها حجاباً من النار ، قالت امرأةٌ : واثنين؟ قال : واثنين »[1] .

وعنه معاوية بن قُرَّة عن أبيه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأحد أصحابه كان قد مات له ولد صغير :

« ألا يسرُّك أن لا تأتي باباً من أبواب الجنَّة إلاّ وجدته عنده يسعىٰ يفتح لك »[2] .

صبر رسول الله ﷺ علىٰ موت ولده إبراهيم :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

رأيتُ إبراهيم وهو يكيد بنفسه بين يَدَي رسول الله ﷺ ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « تَدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلاّ ما يرضي ربَّنا ، والله يا إبراهيم إنّا بك لمحزونون »[3] .

---

(١) رواه أحمد .
(٢) رواه أحمد والنسائي والبغوي .
(٣) أخرجه ابن سعد : ١/ ٩٠ .

رسول الله ﷺ يحضُّ ابنته علىٰ الصبر علىٰ موت ابنها :

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال :

كنَّا عند النَّبي ﷺ ، فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أنَّ صبيّاً لها في الموت ، فقال للرسول (الذي أرسلته ابنته) : « ارجع إليها ، فأخبرها أنَّ لله ما أخذ وله ما أعطىٰ ، وكلُّ شيءٍ عنده بأجلٍ مسمّىٰ ، فمرها فلتصْبِر ، ولتحتسب » . فعاد الرسول ، فقال : إنّها قد أقسمت لتأتينّها ، فقام النَّبيُّ ﷺ وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهم ورجال ، وانطلقتُ معهم ، فرُفع إلىٰ رسول الله ﷺ الصبيُّ ونفسه تَقَعْقَع (أي تضطرب) كأنَّها في شَنٍّ ، ففاضت عيناه ﷺ ، فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله؟ قال : « هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنَّما يرحم الله من عباده الرُّحماء »[1] .

---

(١) رواه أحمد والترمذي وأبو داود وغيرهم .

صَبْر أم حارثة على موت ابنها :

لمّا استُشْهد حارثة بن سراقة يوم بدرٍ أتت أُمُّه رسول الله ﷺ تسأله قائلةً : يا رسول الله ، أخبرني عن حارثة ، فإنْ كان في الجنَّة صبرت ، وإنْ كان غير ذلك اجتهدتُ عليه البكاء ، فقال لها : « يا أُمَّ حارثة إنَّها جنان في الجنَّة ، وإنَّ ابنك أصاب الفِرْدوس الأعلى »[1] .

صَبْر أمِّ خلاد على موت ابنها :

عن محمد بن ثابت بن قيس بن شمّاس رضي الله عنه قال :

قُتِل يوم قريظة رجل من الأنصار يُدعىٰ خَلاّداً رضي الله عنه ، فأُتيتْ أُمُّه فقيل لها : يا أُمَّ خلاد قُتل خَلاّد . قال : فجاءت متنقِّبة ، فقيل لها : قتل خَلاّد وأنت متنقِّبة؟ قالت : إنْ كنتُ رُزئت خلاّداً فلا أُرزأ حيائي .

---

(١) رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه .

فأُخبر النَّبيُّ ﷺ بذلك ، فقال : « أما إنَّ له أجر شهيدين» . قال : قيل : ولِمَ ذاك يا رسول الله؟ فقال : « لأنَّ أهل الكتاب قتلوه »[1] .

صَبْر أبي طلحة وأمّ سُليم علىٰ موت ولدهما :

تزوَّج أبو طلحة بأُمِّ سُلَيم ومهرها كان دخوله في الإسلام ، فولدت له غلاماً ، ولمّا بدأ الغلام يجري حتى ملك علىٰ أبي طلحة قلبه مرضَ مرضاً شديداً ، فدخل أبو طلحة يوماً علىٰ زوجه ، فقال لها : ما فعل ابني يا أمّ سُلَيم؟ قالت : خير ما كان ـ فظنَّ أنَّه بَرِىء من مرضه ، فسُرَّ بذلك ، فقالت له زوجه : ألا تتغدّىٰ ، قد أخَّرتُ غداءك اليوم؟ فقدَّمتْ إليه غداءه ، وبعد أن أكل هنيئاً ثُمَّ أصاب من زوجه حاجته قالت له : يا أبا طلحة ، عارية استعارها قوم ، وكانت العارية عندهم ما قضىٰ الله ، وإنَّ أهل العارية أرسلوا إلىٰ عاريتهم ، فقبضوها ألهم أنْ يجزعوا؟ قال : لا ، قالت : فإنَّ ابنك قد

---

(١) رواه أبو يعلىٰ وأبو نعيم وابن سعد .

فارق الدنيا ، فقال لها : فأينَ هو؟ قالت : ها هو ذا في المخدع ، فدخل فكشف عنه ، واسترجع ، فذهب إلى رسول الله ﷺ فحدَّثه بقول أُمِّ سليمٍ ، فقال : « والذي بعثني بالحقِّ لقد قذف الله تبارك وتعالىٰ في رحمها ذكراً لصبرها علىٰ ولدها » ، وكانت قد حملت تلك الليلة من أبي طلحة ، ثُمَّ وضعته غلاماً ، فقال رسول الله ﷺ لأنسٍ : « اذهب يا أنس إلى أُمِّك فقل لها : إذا قطعتِ سَرَر ابنكِ ، فلا تُذيقيه شيئاً حتّىٰ تُرسلي به إليّ ، قال : فوضعته على ذراعي حتى أتيت به رسول الله ﷺ فوضعته بين يديه ، فقال : « ائتني بثلاث تمراتٍ عجوة » ، قال : فجئت بهنّ فقذف نواهنَّ ، ثم قذفه في فيه فلاكه ، ثُمَّ فتح فاه الغلام ، فجعله في فيه ، فجعل ـ الغلامُ ـ يتلمَّظ ، فقال : « أنصاريٌّ يحب التمر » ، فقال : « اذهب إلىٰ أُمِّك فقل : بارك الله لك فيه ، وجعله برّاً تقيّاً »[1] .

---

(١) قال الهيثمي ٩/ ٢٦١ : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح عن أحمد بن منصور الرماديّ وهو ثقة .

صَبْر الخَنساء (الشاعرة) علىٰ موت أولادها الأربعة في القادسية :

لما كانت معركة القادسيّة دعت الخنساء تماضر بنت عمرو بن الشريد أولادها الأربعة ، فأوصتهم قائلة :

(يا بنيّ إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتُم مختارين ، والله ما نَبَتْ بكم الدّار ، ولا أقحمتكم السّنَة ، ولا أزْداكم الطمع ، واللهِ الذي لا إله إلاّ هو ، إنّكم لبنو رجُلٍ واحد كما أنّكُم بنو امرأةٍ واحدة ، ما خُنْتُ أباكم ، ولا فضحتُ خالكم ، ولا غيَّرتُ نسبكم ولا أوطأتُ حريمَكم ، ولا أبحتُ حِماكم . وقد تعلمون ما أعدَّ الله لكمُ من الثواب الجزيل في حَرْب الكافرين ، واعلموا أنَّ الدار الباقية خير من الدار الفانية ، فإذا أصبحتم غداً إنْ شاء الله سالمين ، فاغدوا إلىٰ قتال عدوِّكم مستبصرين ، وبالله علىٰ أعدائه مستنصرين ، فإذا رأيتم الحرب قد شمَّرتْ عن ساقها ، واضطرب لظاها علىٰ سياقها ، وجُلِّلَتْ ناراً على أرواقها ، فتيَمّمُوا وطِيسَها ، وجالدوا رئيسَها عند احتدام خميسها ، تظفروا بالمغنم والسّلامة ، والفوز والكرامة في دار الخُلْدِ والمُقامَة) .

ثُمَّ انطلق أولادها الأربعة مع الناس إلى القادسية متزوِّدين بوصيتها هذه ، فقاتلوا قتالاً صادقاً حتىٰ سقطوا جميعاً شهداء . فلما انتهت المعركة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وعاد المقاتلون منتصرين إلى ديارهم وأهليهم ، خرجت الخنساء في جملة من خرج لاستقبال الجنود العائدين من تلك المعركة الفاصلة ، ومكثت تنتظر عودة أبنائها حتى عاد آخر واحد من الجند المقاتلين ، فسألته عن أولادها الأربعة ، فأخبرها بأنَّهم قد استُشهدوا جميعاً ، فلمَّا وقع كلامه في سمعها تماسكت على عُكّازها وقالت بكلِّ صبر ورضا وتسليم وإيمان : الحمد لله الذي شرَّفني باستشهادهم ، وأرجو من ربّي أن يجمعني بهم في مستقرِّ رحمته .

صَبْر أبي ذرّ علىٰ موت أولاده :

أخرج أبو نُعَيْم عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أنَّه قيل له : إنَّك امرؤ ما يبقىٰ لك ولد ، فقال : الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء ، ويدَّخرهم في دار البقاء[1] .

---

(١) حياة الصحابة ٢/ ٥٩٢ .

صَبْر عروة بن الزُّبَيْر على موت ولده :

جاء أنَّ عروة بن الزُّبير لمّا قدم من المدينة علىٰ الوليد بن عبد الملك في الشام وقعت في رِجْله الإكْلَة ، فقُطعت قدمه ، ثم جاءه نبأ موت ولده محمد وذلك أنَّه دخل دار الدوابِّ فضربته دابَّة فخرَّ مَيْتاً ، فقال عروة في صبره علىٰ هاتين المصيبتين :

اللَّهُمَّ إنَّك تعلم أنَّه كان لي أعضاء أربعة ، فأخذتَ واحداً وأبقيتَ لي ثلاثة فلك الحمد ، وأنَّه كان لي بنون أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد ، اللَّهُمَّ إن أخذتَ لطالما أعطيتَ ، ولئن ابتليتَ لطالما عافيتَ .

صَبْر الفضل بن عياض علىٰ موت ولده :

جاء أنَّ الفضيل بن عياض كان بين أصحابه فأتاه الناعي ينعىٰ إليه أحد أولاده ، فضحك ، فقالوا : تضحك وقد نُعي إليك ولدك ، فقال : أَمْر أحبَّه الله فأحببتُه .

صبر عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) على موت ابنه :

لمّا نزل الموت في عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز قال له أبوه عمر : كيف تجدك يا بُني؟ قال : أجدني في الموت

فاحتسبني ، فإنَّ ثوابَ الله خير لك منّي ، قال : والله ، يا بُنيَّ لأن تكون في ميزاني أحبّ لي من أن أكون في ميزانك ، قال : وأنا والله لأنْ يكون ما تحبُّ أحبُّ إليّ من أن يكون ما أُحِبُّ .

ثُمَّ قال عمر بن عبد العزيز لأبي قِلابة ، وقد وَلِي غَسْل ابنه عبد الملك : إذا غسَّلته وكفَّنته ، فآذنِّي قبل أن تغطِّي وجهه ، ففعل ، فنظر إليه وقال : رحمك الله يا بُنيَّ وغفر لك[1] .

صَبْر منفوسة بنت زيد الفوارس علىٰ موت ولدها :

قال الأصمعيُّ : حدَّثني رجل من بني ثُعَل قال :

كنت ببعض نواحي نجد ، فرُفِعَتْ لي فيه قُبَّة من أدم فقصدتُها ، فإذا أصوات نساءٍ مُعوِلات ، فدنوت منهنَّ وسألتُهنَّ عن شأنهنَّ ، فقُلن : منفوسة بنت زيد الفوارس من أُصيبت بابنها ، وإذا هو في حجرها ، وهي تقول : والله لتقدُّمك أمامي أحبُّ إليَّ من تأخُّرِك ورائي ، ولصبري عنك أجدىٰ من جزعي عليك ، وما حظُّ مصيبةٍ تحلّ من التَّلف

---

(١) العقد الفريد : ٢/٢٢٩ـ٢٣٠ .

محلَّكِ ، وتُورِث من العطب مثل مضجعك؟ ولئن كان فراقُك حَسْرةً إنَّ توقُّع أجرك لِخيرَة .

ثُمَّ قالت : لله درُّ عمرو بن معدِي كرِب حيث يقول :

وإنَّـا لَقَـومٌ لا تفيـض دمـوعنـا علىٰ هالكٍ منّا وإن فَصَم الظَّهْرا[1]

صَبْر معاذة العدوية علىٰ موت ولدها :

أنبأ ثابتٌ البُنانيّ أنَّ صلة بن أُشَيْم كان في مغزىً له ومعه ابن له فقال : أيْ بُنيَّ ، تقدَّم فقاتِل حتىٰ أحتسبك . فحمل ، فقاتل حتىٰ قُتِل ، ثُمَّ تقدَّم فقُتِل ، فاجتمعت النِّساء عند امرأته معاذة العدويَّة ، فقالت :

مرحباً ، إن كنتُنَّ جئتُنَّ لتهنِّئني ، فمرحباً بكُنَّ ، وإن كنتُنّ جئتُنَّ بغير ذلك فارجِعْنَ[2] .

صَبْر أعرابيَّة علىٰ موت ولدها :

قال الأصمعيُّ : مات ابن لأعرابيَّة ، فما زالت تبكي حتَّىٰ خدَّ الدمعُ في خدِّها ، ثُمَّ استرجعت فقالتْ :

---

(١) صفة الصفوة : ٤/ ٣٨٧ .

(٢) صفة الصفوة : ٤/ ٢٣ .

اللَّهُمَّ ، إنَّك قد علمتَ فرط حُنوِّ الوالدَيْن على ولدهما ، فلذلك لم تأمرهما ببرِّه ، وقد علمت قدر عقوق الولد لوالدَيْه ، فمِن أجل ذلك حَضضتَه علىٰ طاعتهما ، وألزمته برَّهما ، وقد كان ولدي من البرِّ بوالديه علىٰ ما يكون الوالدان بولدهما ، فأْجُرْهُ بذلك منّي صلاةً ، ولقِّه سروراً ونَضْرةً .

فقال لها أعرابيٌّ : نِعْمَ ما دعوتِ له لولا أنَّكِ شِبْتِهِ من الجزع بما لا يُجدي عليه . فقالتْ : إذا وقعت الضَّرورات ، لم يجر عليها حكم المكتَسبات ، وجَزَعي على ابني غيرُ ممكنٍ في الطاقة صرفُه ، ولا في القُدْرةِ منْعُه ، والله وليّ عُذْري بفضله ، فقد قال عزَّ وجلَّ : ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] [البقرة: ١٧٣] .

صَبْر امرأة نجديَّة علىٰ موت ولدها :

قال عبد الرحمن بن عمر : دخلتُ علىٰ امرأةٍ من نجد بأعلى الأرض في خِباء لها وبين يديها بُنيٌّ لها قد نزل به الموتُ ، فقامت إليه فأغمضَتْه وعَصَبته وسجَّته ، وقالت :

---

(١) صفة الصفوة : ٤/ ٣٩٢ .

يا ابن أخي ، قلت : ما تشائين؟ قالت : ما أحقّ من أُلْبِس النِّعمة وأُطيلت به النَّظْرة أن لا يدع التوثُّق من نفسه قبل حِلّ عُقْدته ، والحُلول بعَقْوَته ، والمحالة بينه وبين نَفْسه . قال : وما يَقطر من عينها دمعةٌ صَبْراً واحتساباً . ثُمَّ نظرت إليه فقالت : والله ما كان مالُه لِبَطْنه ولا أمره لعِرْسه ، ثُمَّ أنشدت :

رَحِيبُ ذراعٍ بـالّتـي لا تَشِينـه ... وإن كانت الفحشاء ضاق بها ذَرْعا[1]

صَبْر أبي ذرٍّ الهَمْدانيّ علىٰ موت ولده ودعاؤه له :

مات ولد أبي ذرٍّ الهَمْدانيّ فشيَّعه إلى مثواه الأخير ثُمَّ وقف علىٰ قبره فقال : اللَّهُمَّ إنِّي قد وهبتُ لك إساءته إليّ ، فهَبْ له إساءته إليكَ .

فلمّا انصرف عنه التفتَ إلى قَبْره فقال : يا ذرُّ ، قد انصرفنا وتركناك ، ولو أقمنا ما نفعناك[2] .

* * *

---

(١) العقد الفريد : ٣/ ٢٤٣ .

(٢) العقد الفريد : ٣/ ٢٤٢ .